

الفصل التاسع

النزاع بين اليونان وفارس - مجلد أثينا

الحروب الفارسية :

تمثل الفصول الثمانية السابقة عدة قرون ، بل عدة آلاف من السنين وعدداً من البلاد ، أو بالأحرى العالم القديم بأسره . وأما بقية هذا المجلد التي تكون ثلثيه تقريباً فإنها تبحث في قرنين فقط . وسيكون مدار الكلام حول منطقة واحدة صغيرة هي أتيكا . بل سيكون بالأحرى حول المدينة الرئيسية فيها وهي أثينا . كانت أثينا معروفة قبل القرن السادس بمدة طويلة وقد سبقت الإشارة إليها ، ومع ذلك كانت من آخر ممالك المدن التي ظهرت على مسرح تاريخ اليونان .

وقد يمكن أن يعتبرها أناس كالإمبراطورين مثلاً حديثه النعمة ، في حين أنها احتفظت بالتماذج والتقاليد الدورية على أشد ما تكون صا^(١) . ومهما يكن من أمر فإن أثينا نشأت بسرعة وأصبحت في خلال قرن ونيف بارزة وقوية لدرجة تمكنت معها أن تتزعم العالم الهليني في نزاعه مع الفرس الذي كان نزاع حياة أو موت . وكانت أثينا بعد الفوز على الفرس الدولة الرئيسية في ذلك العالم الهليني لمدة نصف قرن . وأهم من ذلك بكثير أنها ظلت تعتبر منذ ذلك العهد أحسن رمز للحضارة الهلينية . وعندما تفكر في تلك الحضارة فإننا تفكر في معظم الأحيان في أثينا . ولفظنا أثينا واليونان تكادان تستعملان الواحدة للدلالة على الأخرى في ذكرياتنا المفعمة بعرفان الجميل .

وتحتاج هذه الأمور إلى بعض الإيضاح . ففي نهاية القرن السادس كانت إمبراطورية الفرس الأخمينيين^(٢) تسيطر على أهم قسم في العالم القديم ، وكانت تضم غربي آسيا كلها (عدا شبه الجزيرة العربية) ، بل تضم مصر أيضاً^(٣) .

وكانت التجارة الفارسية منظمة ومتشعبة في جهات مختلفة . وكانت المنافسة قوية بينها وبين المستعمرات اليونانية خاصة في جهات البحر الأسود والمضائق المؤدية إليه وفي شرق البحر المتوسط . وقد تمكن الفرس من الجمع بين تجارة التوافل الواسعة في آسية وشمال أفريقيا وبين تجارة الفينيقيين البحرية . وكان الفينيقيون بطبيعة الحال حلفاء الفرس في منافستهم لليونان وفي كرههم المتزايد لها . وامتدت مستعمراتهم في هذا العصر من طرف البحر المتوسط إلى طرفه الآخر ، وبفضلها شملت التجارة الفارسية هذا البحر بأسره ، كما يشهد بذلك اكتشاف النقود الفارسية الذهبية (المعروفة باسم دارية darics نسبة إلى داريوس) في أماكن مختلفة حوله . وقد كانت المستعمرات اليونانية كثيرة ومزدهرة حتى ذلك الزمن غير أنها كانت مطوقة ومحاطة في كل مكان بمراكز فارسية أو فينيقية . وكان لهذا الوضع خطره ، ولكن ربما بدرجة غير كبيرة بالنسبة لليونانيين المعاصرين ، لأنه لم يكن في استطاعتهم تقدير هذه الخطوة كما نفعل نحن عندما ننظر بإمعان في الحرائط الممتازة التي وضعت بفضل جهود البحارة المتلاحمة^(٤) .

وكان الضغط شديداً على الأخص في المستعمرات الأيونية التي كان الفرس يسيطرون على البلاد الواقعة وراءها ، حيث كان لابد من تكرار وقوع الحوادث وقيام الثورات وما يتبعها من أعمال القمع . وقد بدأت الثورة الأيونية عام ٤٩٩ ، وفي السنة التالية احتل اليونان بصورة مفاجئة مدينة ساردس (عاصمة مقاطعة ليديا) وحربوها . ولكنهم عوقبوا بشدة في طريق عودتهم قرب أنسرس . وامتدت الثورة إلى مستعمرات أخرى في قبرص وآسية وكان مركزها الرئيسي مدينة مبيليس المشهورة التي احتلها الفرس « في السنة السادسة للثورة » (٤٩٤) . وهدموا عن آخرها . واجتاح الفرس في ٤٩٣ جزر كيوس وتينيدوس Tenedos ولسبوس وأصبح الوضع خطراً . وكان ثيمستوكليس Themistocles (حوالى ٥١٤ - ٤٦٠) من أول الساسة الأثينيين الذين أدركوا خطورة الحال ، فأقنع مواطنيه بأن يستعدوا للدفاع وذلك ببناء أسطول دائم وتأسيس دار للصناعة

البحرية في بيرابوس ميناء أثينا . ولا داعى لرواية بقية القصة فهي معقدة حتى إن تلخيصاً واضحاً لما قد يستوعب مجالاً كبيراً . ويكفى أن نذكر أعمال البطولة في ماراثون حيث كسر جيش داريوس في عام ٤٩٠ (٢) والدفاع المجيد الذى قامت به مؤخرة جيش اليونان في مضيق ترموبيلاي Thermopylae في ٤٨٠ (حيث قضى ليونيداس ورجاله الإسبرطيون الثلاثمائة) وموقعة سلاميس البحرية في السنة نفسها حيث كسر الأسطول اليونانى الأسطول الفارسى شر كسرة ، وكان اكسرسيس ملك الفرس يشاهد مأساة الانكسار من العرش الذى نصبوه له على أحد تلال ساحل أتيكا . وانتقم الفرس في الربيع التالى بغزو أتيكا . ونهبوا أثينا وأحرقوا الأكروبول بما فيه من معبد البارثينون القديم . غير أنهم كسروا ثانية في الصيف في موقعة بلاتيا (في مقاطعة بيوشيا قرب حدود أتيكا) وفي الوقت نفسه تقريباً (أغسطس ٤٧٩) كسر أسطول اليونان المتحالقين أسطولاً فارسياً آخر قرب ميكال (على الساحل الأيونى مقابل جزيرة ساموس) . وحينذاك اطمأنت اليونان على استقلالها .

ولا نغلو مطلقاً في أهمية هذا النزاع بين آسية وأوربا . فهو من أعظم المنازعات في تاريخ العالم ومن أخطرها من حيث ما ترتب عليه من نتائج . وقد تقرر المستقبل بانتصار اليونان الهائى : (وكان يمكن أن يكون المستقبل مختلفاً تمام الاختلاف لو أن الفوز كتب للفرس ، على أنه ليس من المستطاع بل ليس من المفيد أن نتصور ما كان يمكن أن يحدث) . ومهما يكن فإنه من الخطأ أن نسمى هذا النزاع نزاعاً بين آسية وأوربا أو بين الشرق والغرب وإن كان في ذلك بعض الصحة في الظاهر . فكثيرون من اليونان كانوا يعيشون في آسية أو في مصر لعدة قرون خلت . ومن جهة أخرى فإن الفينيقيين وهم حلفاء الفرس البحريين كانوا منتشرين في بلاد البحر المتوسط وكان في إمكانهم أن يهددوا اليونان من جهة الغرب . كذلك لم يكن النزاع نزاعاً بين الآريين والساميين لأن الفرس كانوا آريين كاليونان ، بينما حلفاؤهم الفينيقيون كانوا ساميين . والإمبراطورية الأخمينية كانت مجموعة من جميع أجناس غربى

آسية وأمها . وقد امتزجت بصورة متوالية أثناء آلاف السنين . ولغة الإمبراطورية الرئيسية كانت الآرامية وهي لغة سامية . ولذلك فإنه من الأصح أن نعتبر ذلك النزاع نزاعاً بين الحكم المطلق الآسيوي والديموقراطية اليونانية . وقد فازت الديموقراطية وتأيدت . ومع أن هذه المحاولة الأولى لم يكتب لها البقاء طويلاً فإنها ظلت مثلاً لم ينسه العالم أبداً .

ولم تدافع أمم اليونان كلها عن حريتها ، وإنما قامت بعضها بذلك وفي مقدمتها المستعمرات الأيونية وأثينا وإسبرطة (لانسى أن شهداء ترموبيلاي كانوا إسبرطيين) . وبرزت أثينا زعيمة لليونان . فكيف نفسر ذلك ؟ هل كان الأثينيون جنساً خاصاً ومتميزاً عن غيره من اليونانيين ؟ لقد كان معظم الأثينيين أول الأمر من السكان الأصليين ، أو كانوا يبدون كذلك ، وكانوا يضعون شارة ذهبية في شعرهم إشعاراً بهذا^(٦) . ومع ذلك فإن موقع أتيكا في الطرف الشرق لشبه جزيرة اليونان كان ملائماً كل الملاءمة لمختلف الأعمال التجارية ، وخاصة مع مستعمرات أيونيا وجزر بحر إيجه . وقد تدفق الأيونيون على أثينا وتأثرت الحضارة الأثينية كثيراً بالتماذج الأيونية . وأرى أن هذا هو التفسير الرئيسي لتفوق أثينا - أى تطعيم العنصر الأتيكي القديم بذكاء الأيونيين ومعارفهم المتنوعة (وفي التاريخ أمثلة كثيرة لهذا التطعيم وثماره العظيمة) . زد على ذلك أن أتيكا كانت تجذب إليها جماعات أخرى من الأجانب ، فكانوا يأتون من أماكن وأجناس مختلفة وبالتدريج يندمجون فيها . ولغة الأثينيين نفسها تظهر صفتهم العالمية^(٧) ، وهذه اللغة بدورها كانت وسيلة أخرى للوحدة الثقافية . وقد اعترف بمكانة أثينا القومية قبل نهايتها القرن السادس بالرغم من أن سائر المدن كانت تفوقها قوة . وارتفعت هذه المكانة كثيراً بعد موقعة سلاميس ، وأصبحت أثينا المدينة الرئيسية كما أن إلهها بالاس أثينا Pallas Athene أضحت أحسن رمز للهيلينية .

وصارت أثينا المركز السياسي والتجاري والثقافي الرئيسي ، وإن لم تكن يوجه من الوجوه المركز الوحيد . فقد ازدهرت مراكز أخرى في طيبة وكورنثة

وسيكيون Sicyon وميجارة Megara وحتى في مقدونية وأيونيا وبرقة Cyrenaica وإيطاليا وصقلية . وكان العالم اليوناني كثير الاتساع والتنوع . ومع الزمن أنجبت كل زاوية من زواياها رجلاً عظام . ومع ذلك فإن عدداً متزايداً من هؤلاء الرجال كانوا مضطرين . إذا لم يكونوا مولودين في أثينا . أن يأتوا إليها لإتمام تحصيلهم . أو لبلوغ هدفهم وممارسة نفوذهم وللحصول على الاعتراف النهائي بجداتهم .

سلم نسبي يدوم خمسين سنة

بلغت سيادة أثينا الأوج في فترة السنين الخمسين التي انقضت بين موقعة سلاميس والحروب البيلوونيزية وقربت هذه السيادة وبدأت كأنها متوطدة إلى الأبد . وكانت أثينا على رأس العصبة الأيونية التي تحولت بالتدريج إلى الإمبراطورية الأثينية البحرية وكانت الأعياد الأثينية والاتيكية أكثر الأعياد شهرة وشيوعاً في بلاد اليونان . وظلت الحضارة الأثينية بالرغم من تفوقها القوي وصفحتها العالمية أصيلة غير متكلفة . وكان يحركها الفخر بالحاضر والإيمان بالمستقبل والوطنية الساذجة وكثير من الغرور يلفظه حب المناقشة . كما يحدث عادة في أوقات السلم والرخاء . وقد كانت تلك السنين الخمسون عصر أثينا الذهبي . ويمكن أن نقارنها بالعصر الإليزابيثي في إنجلترا الذي كان يعادها طويلاً (مدته ٤٥ سنة من ١٥٥٨ - ١٦٠٣) وحداثة . وكانت تسيطر على السنوات الثلاثين الأخيرة من هذه الفترة شخصية سياسية كبير هو بركليس (٤٩٩ - ٤٢٩) . ولذلك فإنها أحياناً تسمى عصر بركليس . على أنه من الأنسب ألا تدعى كذلك . لأن عصر بركليس لم يكن كله ذهبياً . وإن كان أكثر الأقسام فخامة وربما كان أكثرها إبداعاً . إلا أن الذهب الحقيقي كان قد بدأ يعقد لمعانه . وأخذ التكلف يحل محل الفطرة . والشك محل الغرور الساذج . والغيوم الدكناء تتجمع في الأفق .

والأمر السياسي البارز هو تأسيس العصبة الأيونية (البحرية) والسيادة الأثينية . وقد حكمت أثينا العالم مدة من الزمن وسادت الحضارة الأثينية

سائر الحضارات اليونانية . وكانت القوة البحرية هي القوة الوحيدة التي في إمكانها توحيد الدول الهلينية الواقعة بين البر والبحر ، وكان استخدامها مشجعاً كبيراً للتبادل الدولي سواء أكان تبادلاً مادياً أم فكرياً . وكان مركز العصبة الأيونية وخرانتها أول الأمر في جزيرة ديولوس (أصغر مجموعة جزر السيكلاديس في بحر إيجه) وهي أقدس مكان لعبادة الإله أبوللو . ولقد سيطرت هذه شأن في حمايتها ، حتى إن الملاحين الفرس في طريقهم إلى سلاميس لم يجرأوا على نهبها . وعندما عظمت سيادة أثينا نقلت إليها خزانة العصبة من ديولوس ، ولكن من جهة أخرى اتخذت جميع الاحتياطات لزيادة قدسية ذلك المكان . فجميع بقايا الإنسان والحيوان مثلا كانت تطرح خارجها . كما بذلت الجهود لمنع تدنيسها بوقوع الولادات والوفيات . على أنه من المئسف أن نضطر لالتقول بأن قدسية ديولوس دنست في العصور التالية بشكل واضح . فالأعياد التي كانت تقام تكريماً لأبوللو والألعاب الديلوسية كانت تجتذب أفواجا من الناس ، وبين هذه الألعاب والأعياد كان يأتي الوفد المقدس *theoria* الذي كانت ترسله أثينا في كل عام . كما أن عدداً كبيراً من الحجاج كانوا يتوافدون من مختلف أطراف العالم اليوناني . وكانت ديولوس ، كأى مكان مقدس آخر ، سوقاً عظيمة -- وليس في ذلك من بأس . غير أنها أصبحت سوقاً للنخاسة بل أعظم سوق من نوعه في ذلك العصر . ومن هنا الغرابة في أن تختلط الأعياد الدينية بتجارة الرقيق ! وعوقبت ديولوس بشدة على هذا الانحطاط المريع أثناء حرب ميثريداتيس ضد رومة . حين استولى أحد قواد ميثريداتيس^(٨) على جزيرة ديولوس عام ٨٤ ق.م . وذبح رجالها ولم يبق إلا على النساء والأطفال يعيشون في العبودية .

لنلق نظرة سريعة على قسم آخر من العالم اليوناني كان يساعد أيضاً في تحقيق وحدة اليونان . وهو دلي في مقاطعة فوكيس *Phocis* . وقد أسس هذا المعبد في موقع يثير الإعجاب والخوف على منحدر جبل برناسوس ، وكان يعتقد أنه سر الأرض *omphalos* أو وسطها . وأن الإله زيوس قرر هذا الموقع

بإطلاق نسرين أحدهما في طرف العالم الغربي والآخر في طرفه الشرق ثم طارا بسرعة متساوية فالتقيا في دلفي . تلك قصة جميلة وإن تكن بدائية نوعاً ما . وقد أقيمت قطعة من الرخام - كحجرسرة - في وسط المعبد^(٩) . وهذا المعبد قديم جداً ، وبعد أن احترق عام ٥٤٨ أعيد بناؤه في صورة أفخم تبرعات جمعت من جميع مناطق اليونان وحتى في المستعمرات اليونانية في مصر . وكانت تقام الألعاب البيثية Pythian * تكريماً لأبوللو في دلفي ، غير أن أهم ما اشتهر به هذا المكان هو الفجوة أو الشق chasma الذي كانت تنبعث منه أبخرة ذات رائحة قوية من العالم الأسفل . وكانت تجلس نبية تدعى بيثيا Pythia^(١٠) على شيء مثل القوائم (سبية) فوق ذلك الشق ، وتقع في غيبوبة ، ثم تصدر عنها تكهنات كانت يتلقاها كل شخص تقريباً باحترام غريب سواء كان متعلماً أم لا . وكان وحى دلفي من العناصر التي ساعدت على تطور الثقافة اليونانية^(١١) . وفي الأعياد الدينية كانت تلي الخطب التي تتخذ في بعض الأحيان صفة خطب سياسية ومديح لزعماء اليونان^(١٢) . وكانت سلطة أثينا مبنية إلى حد كبير على تبرعات حلفائها المالية ، ولكنها أيضاً كانت مبنية إلى حد عظيم وإن يكن من الصعب قياسه على استخدام جميع الوسائل التي قدمتها أماكن مثل ديلوس ودلفي لإقناع الناس وتقوية الوحدة القومية .

وقد كان في الإمكان أن تدوم سيادة أثينا مدة طويلة لولا حسد منافساتها اللاهبة وخاصة إسبرطة . وكان يتضح أكثر فأكثر كل سنة أن وحدة اليونان مصطنعة . دامت بدوام الخطر الفارسي ، وبالرغم من الأعياد والألعاب فإنها لم تكن لتبقى طويلاً . فالإيونان اتحدوا جميعاً ضد البرابرة أو غير اليونان ، وعندما فقد البرابرة أملهم وزال خطرهم ، حلت الريبة والعداء محل الوحدة . وأدى التوتر المتزايد إلى الحروب الأهلية (٤٣١ - ٤٠٤) التي سنأتي على ذكرها .

* كان الاسم القديم للمكان الذي فيه تقع مدينة دلفي « بيثو Pytho » كما أن دلفي نفسها عرفت بهذا الاسم ولذلك كان يسمى أبوللو « البيثي Pythian » والألعاب تسمى البيثية (المترجم) .

إن مهمتنا الرئيسية في هذا الفصل هي لإيضاح جمال العصر الذهبي الأثيني وسموه (٤٨٠ - ٤٣١) . وستخصص الفصول التالية للنتائج الفلسفية والعلمية . أما في هذا الفصل فإننا سنتحدث بإيجاز عن الإبداع الأدبي والفني الذي يمتاز بوضوحه ويساعد أكثر من أى شيء آخر على تقدير عظمة أثينا .

الشعر الغنائي

إن أقدم مظهر لعظمة أثينا يمكن مشاهدته في الشعراء الغنائيين الذين ظهوروا قبل الحروب الفارسية ، وكانوا أول من عبر عن مطامح هيلاس بعد عصر هوميروس وهزiod . وأفضل أولئك الشعراء كانوا في الحقيقة لسان حال الجمهور ومفسري إرادته ومواقفه . وكانت الألعاب الوطنية والأعياد الدينية تعطيهم فرصة ممتازة للتغنى بأفراح الشعب اليوناني ومفاخره ، والتحدث عما يجول في خاطر الناس ، والتعبير عن أنقى الأفكار بكلمات مختارة متناسقة لدرجة أنها كانت تتناقلها الألسن وتلدخرها القلوب وتعاد بصورة دائمة . إن تلك الكلمات التي كانت تطير من فم إلى فم كانت أكثر تأثيراً من العناوين الفخمة المبذولة في صحفنا اليوم .

ولم يكن الشعر بعد منفصلاً عن الموسيقى ، فكان الشاعر مؤلفاً موسيقياً في الوقت نفسه بحيث يتم التأليف الشعري في دماغه مع التأليف الموسيقي ويشير أحدهما الآخر . وكان النظم يرافق التلحين ، وتلاوة الشاعر أو ترتيله يرافقهما عزف الشاعر على القيثارة أو عزف شخص آخر على الناي .

وكانت الأشعار الغنائية أنواعاً كثيرة : فمنها الترانيم الدينية والأغاني التي ترافق المواكب والرقصات الطقسية ، والأناشيد التي تحتفل بالفائزين في الألعاب الوطنية ، والأشعار التي تتلى في نهاية مأدبة لشكر المضيف ، ومدائح عظماء الرجال . والمرثى ، والمقاطع الشعرية ذات المغزى . والأبيات التي تكتب على الأضرحة ، وندع جانباً القطع التي لها لون شخصي أكثر وتعبر عن عواطف الشاعر الخاصة . ولم يكن الشاعر ليشرح الوقائع وإن أشار إليها أحياناً ،

وإنما كان غرضه التعبير عن شعور إخوانه . وقد فعل ذلك بصورة جيدة ،
وفي بعض الأحيان كان عمله ممتازاً .

والأمثلة البارزة هؤلاء الشعراء سيمونيديس Simonides (٥٥٦ - ٤٦٧)
من جزيرة خيوس (إحدى جزر السيكلاديز) . وابن أخيه باخيليديس Parchylides
وبوجه خاص الشاعر الثيبي بندار Pindar (حوالي ٥١٨ - ٤٣٨) . ولنلاحظ أن
هؤلاء الثلاثة وإن كانوا ولدوا في القرن السادس إلا أنهم عاشوا في جزء كبير من
القرن الخامس الذي نتحدث عنه .

ولعل القارئ صدمته إشارتنا إلى علم الغيب والتكهن . وقد يعجب أن
يسمح هؤلاء اليونان المشهورون بحكمهم لأنفسهم بأن ينجدهم قارئو
الغيب والنساء المصابات بالمستيريا . ومع ذلك كان اليونان يسترشدون من جهة
أخرى بالشعراء الذين كانوا يعدون أصواتاً إلهية من نوع آخر . وفي الظلام الذي
أحاط بهم كانت الكلمات العاطفية تهز نفوسهم . وقد تبدو إلهية إما لظروف
الخاصة التي ترافق التلفظ بها (كما في الشق الموجود في دلفي) أو لإيقاعها
وجمالها الخارق . فكبار الشعراء في مقدمة قراء الغيب وليسوا بأقلهم غموضاً .

نشأ سيمونيديس في أثينا ، وتنقل في تساليا ومناطق أخرى من بلاد اليونان ،
حتى إنه وصل إلى بلاد اليونان العظمى (Magna Graecia) . وبلغ من
شهرته أن الملك هيرون^(١٣) دعاه إلى صقلية وبالغ في إكرامه . وإلى القارئ
مقطوعة قصيرة لإعطاء فكرة (هي حتماً غير تامة) عن شعره وهي مقتطفة من
قصيدة عن ترموبيلاي :

أولئك الذين قتلوا في ترموبيلاي

لقد كان حنقهم مجيداً وحظهم جميلاً

إن قبرهم مذبح : والرجال يمتنعون عن البكاء

ليكرمهم ويمتدحهم ، لا ليندبوا حظهم

إن هذا الضريح سوف لا تبليه الكتابة

• يطلق هذا الاسم على المستعمرات اليونانية في صقلية وجنوب إيطاليا (المترجم) .

ولا الزمن الذى يزيل كل شىء . هذا هو حقهم
 وفى ضربهم وضع المجد الذى ولد فى اليونان
 إن هذا ما يشهد به ليونيداس الإسبرطى
 الذى يعيش فى قصته إلى الأبد إكليل من الفضيلة^(١٤)

وذكر فى قطعة حفظها لنا بلوتارك أن سيمونيديس كان يعتبر أن مائة
 سنة وحتى ألف سنة ليست سوى نقطة (Stigme) بين خطين لامتناهيين
 هما الماضى والمستقبل .

كان باخيليديس ابن أخى سيمونيديس أصغر منه بنحو أربعين سنة ،
 وقد حدا حدوه ، فكان يتنقل فى مختلف بلاد اليونان ، ويكتب الأناشيد وغيرها
 من الأشعار الغنائية للشعب الذى كان يقابله بالترحاب . وقضى بعض الوقت
 فى البيلوپونيزوفى بلاط هيرون . ولم نكن حتى نهاية القرن الأخير نعلم إلا القليل
 جداً من شعره ، ثم اكتشف له منذ ذلك الحين تسع عشرة قصيدة فى ملف
 بردى . وبدلاً من مائة بيت أصبح لدينا الآن من شعره نحو ١٤٠٠ ، وصار
 من الممكن تقدير نبوغه . وهذا مثال على تقدم المعرفة بفضل جهود العلماء
 فى العصر الحديث . وكان يظن أن ما عرفناه عن تاريخ الأدب اليونانى القديم
 تام . فى حين أن معلوماتنا حتى عام ١٨٩٧ عن هذا الشاعر الكبير كانت
 ناقصة جداً^(١٥) .

أما بندار (٥١٨ - ٤٣٨) الذى يأتى بين شاعرى خيوس^(١٦) فإنه فاقهما
 كليهما وفاق جميع الآخرين . ويعتمد كوينتليان (الجزء الأول - الفصل
 الثانى) أنه أعظم الشعراء الغنائيين التسعة^(١٧) . وظل حتى اليوم رمز الشعر الغنائى
 فى العصر الذهبى . ولم يخترع بندار شكلاً جديداً من الشعر ولكنه حسن
 ما صنعه الآخرون قبله . وأنتج إنتاجاً غزيراً . فكانت عبقريته ممنازة فى طاقتها
 وثمارها . نشأ بجزار طيبة . وتربى فى أثينا (وفى هذا ما يثبت أنها كانت مركزاً
 أدبياً منذ أول القرن) . وفى موقعة ماراثون كان فى نحو الثلاثين من عمره ،
 وبدا تلاقت سنو نضجه مع روح التسامى القومى . الذى استطاع التعبير

عنه بأوفى بيان . وكانت ألفاظه في آن واحد براقعة وفخمة، سريعة وصحيحة . ولقد تنقل أكثر من منافسيه ، فإننا لا نجد في بلدة طيبة وأثينا وسائر مدن اليونان الأصلية فحسب، وإنما نجده أيضاً في مقدونيا وبرقة وصقلية .

هؤلاء الشعراء الغنائيون يمثلون ما يشبه مقدمة هيلينية جامعة للحضارة الأثينية . وقد دفعهم عدم استقرارهم إلى التنقل بين جميع البلاد اليونانية . ومع أنهم كانوا مدينين لأثينا بالثنى الكثير فإنهم لم يعتبروا أنفسهم أثينيين بل هيلينيين . وكتبوا وأشدوا الأشعار للبلاد والجماعات التي كانت ترحب بهم . وذكر عن سيمونيدس أنه كان أول من رضى بتناول المال لقاء عمله . ويصعب فهم عبارة كهذه، لأننا نعلم أن المنشدين الذين كانوا يتجولون في طول البلاد وعرضها كانوا يكافأون على أتعابهم وتقام لهم الحفلات من قبل مضيفيهم . وقد تكون تلك الإشارة إلى الدفع النقدي بدلا من الدفع العيني ، وهي بهذا لا تدل إلا على تبدل في الأحوال الاقتصادية . وربما كان سيمونيدس من أول الذين دفعت لهم نفود . لأن كمية النقد المتداولة كانت أكثر في أيامه ، ولأن الناس كانوا أكثر استعداداً لاستعمالها وكانوا يؤثرون هذا على أن يقايضوا مواهبهم ببضائع وحاجات أخرى .

كان سيمونيدس وباخيليدس من خيوس وبندار من طيبة ، وجميعهم تنقلوا في البلاد التي تتكلم باليونانية . وتوفي سيمونيدس في سيراكوز . وبندار في آرغوس (في شبة جزيرة البيلوبونيز) . وأشهر أغاني بندار تتعلق بحوادث الفوز في دلفي . ولذلك فإن مجده بدأ فيها . وتورد صداه مع سائر الذكريات المتصلة بها في جميع بلاد اليونان . وأشعاره الأخرى تبدو دلفية بما اتسمت به من عظمة قائمة .

وفي نهاية الأغنية التي نظمها بندار باسم أحد صغار الرياضيين الذي فاز في مصارعة عام ٤٤٦ . واسمه ارستومينيس من إيجنا قال :

قصيرة فترة الزمن التي تنمو فيها سعادة المرء القاني
وحتى في ذلك تسقط إلى الخضمض إذا ما أصابها القضاء المعاكس

خلق يوم واحد ، فأى شيء هو هذا الإنسان ؟ وأى شيء ليس هو ؟
 ليس شيئاً آتجر سوى حلم الخيال
 ولكن عندما يأتى بريق من الشمس هدية من السماء
 فإن نوراً مشرقاً يستقر على الناس وتستقر معه حياة سعيدة^(١٨)
 أصبحت شهرة بندار عظيمة أثناء حياته . بفضل عبقريته واتصاله بدلفى
 « سره » الأرض ، وأعتبر شاعراً كلاسيكياً بعد موته بفترة قصيرة جداً .

زاد شهرة هؤلاء الشعراء فى بلاد اليونان أجمع أنهم لم يكتبوا بلهجتهم
 الخاصة ، وإنما بلغة مصطنعة نوعاً . وهى إحدى اللهجات الدورية الأدبية
 التى اقتصر استعمالها عليهم وحدهم تقريباً^(١٩) . ويرمزون بذلك إلى وحدة
 الهلينيين الطبيعية التى أوجدتها تقاليدهم الهومرية وأسرارهم وألعابهم القومية
 واجتماعاتهم ووفودهم المقدسة ونظرياتهم وحججهم — وهذه الوحدة أقدم من
 وحدة العصبة الأيونية السياسية أو وحدة الإمبراطورية الأثينية ، وأرفع منها .

الفنون :

كان نشوء الشعر الغنائى إلى حد بعيد مستقلاً عن الازدهار الاقتصادى
 وعن الإمبراطورية لأنه لم يستدع نفقات كبرى . واشترك الشعراء فى الأعياد
 العامة والخاصة وكانت النفقة الإضافية الوحيدة التى اقتضاها حضورهم هى
 مصروفهم الخاص والعطايا الملكية التى استحقوقها (بدون أن يحصلوا عليها
 أحياناً) . ومن المحقق أنه مما كان يثير عبقرينهم إلى حد ما هو الحماسة العامة .
 وإنما لتعبير عن هذا الشيء نفسه عندما نقول إنهم كانوا لسان حال الشعب ،
 ولذلك كان لابد من أن يرتفع إنشادهم ويزداد جمالاً فى أيام الظفر والتوسع .
 وعلى عكس ذلك كان بناء المعابد وسائر الأبنية العامة يتكلف كثيراً . وكان
 الحجاج هم الذين يدفعون المبالغ اللازمة لبناء المعابد مثل ديالوس ودلفى واليوسيس
 Eleusis ، أو كانت تجمع من جماعات المؤمنين فى مختلف الأماكن .
 وعندما أصبحت أثينا مركز العصبة الأيونية ، كانت تنلقى التبرعات من
 حلفائها ، هذا إلى أن مواردها المالية ازدادت بفضل تجارتها . وفوق ذلك

كانت مناجم الفضة في لوريون Laurion (في جنوب أتيكا) ملكاً للدولة ، يستثمرها الرأسماليون عن طريق الالتزام ويشغل فيها العبيد . وقد استعملت الفضة المستخرجة منها في أول الأمر (حسب نصيحة ثيمستوكليس) لتقوية الأسطول . ثم خصص فيما بعد قسم هام منها لإعادة بناء أثينا وزخرفتها بالمباني المحيطة . وقامت الإنشاءات الفنية البارزة بفضل بركليس ومساعدته فيدياس (المولود في عام ماراتون ٤٩٠ . والمتوفى في السجن في عام ٤٣٢) . ولم يكن فيدياس أعظم نحّات في عصره (ومن أعظم النحاتين في جميع العصور فحسب) ، بل كان مكلفاً أيضاً من قبل بركليس بإدارة جميع مشروعاته الفنية . وقد فقدت أهم أعماله في النحت . وهي التماثيل الضخمة للإلهة أثينا في مدينة أثينا وللإله زيوس في أولبيا المصنوعة من الذهب والعاج . ولكن جانباً كبيراً من زخارف المباني الرئيسية على الأكروبول قد بَي . وخاصة قسم من المدخل وهيكل البارثينون . وفي رأى أكثر الناس أن مجد اليونان هو مجد أثينا في مدة قرنين ، ومجد أثينا يرمز إليه هيكل البارثينون الحديد الذي تم انشاؤه بين ٤٤٧ و ٤٣٤ . ويقترن ذكر ثلاثة من الرجال العظام في فخامة ذلك البناء وهم : بركليس اللماخ المفكر ، وإكتينوس Ictinos البناء ، وفيدياس النحات . ولم يخطئ الناس في نظرهم إلى هذا البناء . فهو بحق أحسن رمز للحضارة اليونانية . وهو كغيره من بدائع الفن (بعكس بدائع العلم والأدب) يمكن تقديره بداهة من قبل أى شخص جدير بالتقدير . وأجمل تعبير أدبي عن عظمة البارثينون قدمه لنا أرنست رينان Renan في مقطوعته « صلاة على الأكروبول حين وصلت إلى إدراك جماله التام » . وكلماته نفسها هي من أشهر قطع النثر الفرنسي (٢٠) .

تطور النحت اليوناني إلى حد بعيد في القرن السادس ، وترجع بعض التماثيل التي نالت أكبر قسط من الإعجاب إلى ذلك العهد . وفي النصف الأول من القرن الخامس عرف اجيلا داس الأرجوسى Ageladas of Argos الذي فقدت أعماله الفنية . وقد علم ثلاثة طلاب مشهورين هم فيدياس وميرون Myron وبوليكليتوس Polycleitos . ويمثل هؤلاء الثلاثة نضج النحت اليوناني .

ويفضل كثيرون اليوم إنتاج القرن السابق الذي كان أقل نضجاً وأكثر سداجة، إلا أنا نستطيع أن نقبل حكم اليونانيين أنفسهم الذين أجمعوا على إطراء أعمال فيدياس وبندار .

وفي العصر الذي عاش فيه أجيلاداس تقريباً ازدهر الرسام بوليغينوتوس Polygnotos . وقد ولد في تاسوس (وهي جزيرة جنوبي ساحل تراقية) ، ثم أتى إلى أثينا منذ حداثة . وكان النحاتون الثلاثة العظام يعيشون أيضاً في أثينا إلا عندما كانت مهماتهم تجبرهم على الإقامة المؤقتة في أماكن أخرى . وكان يمكن مشاهدة أشهر رسوم بوليغينوتوس الجدارية في رواق Tesche^(٢١) في دلفي ، وتمثل نهب طروادة . وبوليسيس Ulysses في العالم الأسفل . وبقدر ما يمكننا الحكم عليها من أوصافها القديمة كانت ملونة تلويناً بسيطاً ، بدون أى تأثير للنور والظل وبدون مناظر في أرضيتها . ومع ذلك كانت عظيمة الأثر في صرامتها وهيبتها . لقد ضاعت هذه الرسوم . ولكن لدينا فكرة تقريبية عن مقدرة معاصري بوليغينوتوس الفنية في الرسم . وذلك من الرسوم الكثيرة المحفوظة على الأواني اليونانية (وتتميز الأواني الأتيكية في القرن الخامس بما سمي أسلوب الأشكال الحمراء) .

المأساة :

لم نتكلم بعد عن أبرز مظهر للحياة الأثينية في القرن الخامس — طيلة ذلك القرن وبصورة متزايدة — وهو المسرحية . فإنها كانت شيئاً جديداً ، وإن كانت استمراراً وتوسعاً لتقليد قديم . وذلك لأن الشعب كان يحب الرقص والغناء ، كما يحب الاستماع لتلاوة الأشعار . ويعود هذا الميل إلى العصر الهوميرو ، والشعراء الغنائيون في القرنين السادس والخامس أعطوه شكلاً جديداً . ومن جهة أخرى أدخلت الأسرار الدينية وسائر الاحتمالات التمثيل المسرحي . وبحسب الأساطير الشعبية كان مخترع المأساة رجلاً اسمه ثيسبيس Thespis^(٢٢) ، الذي عاش بين ٥٦٠ و ٥٣٥ . وأصله من إيكاريا Icaria (قرب ماراثون) ، وقد قدم

إلى أثينا وزرع بذوره في أخصب تربة . وساعدت الانتصارات على الفرس وما يتبعها من عظمة قومية على زيادة الحاجة لا إلى شعر غنائى فحسب ، بل إلى شعر مسرحى أيضاً ، يعبر بأقوال فخمة عن عواطف الناس ويثير شعورهم المتوقد، فكانت المأساة نوعاً من الطقوس العامة ، بل أسمى أشكال الطقوس التي احتفلت بها أية أمة .

وقد تطور شعر المأساة المسرحى بشكل منقطع النظير بسبب الوضع الاجتماعى الذى كان مشجعاً له من جهة ؛ وبسبب وجود ثلاثة من العباقرة الممتازين من جهة أخرى . وحل بالتدرج محل الشعر الغنائى ، لأنه مكّن من سد الحاجة نفسها بصورة أتم . وأضاف إلى الشعر الغنائى والموسيقى الإلقاء المصحوب بالرقص وتبادل الآراء بصورة تمثيلية . فهو عبارة عن شعر غنائى موضوع بشكل مسرحى متعدد الأشكال ومقرون بالأسرار الدينية ومحول إلى حفلة تمثيلية عامة مستقلة بذاتها . وقد كانت المأسى الأولى بسيطة جداً ، بل وساذجة في عظمتها ؛ ولكن حوالى نهاية القرن أصبحت تغلب عليها السفسطة والتعقيد . كما غلبت على الجمهور الذى كان يشاهدها (وأصبحت الصفة الغنائية المحضة ثانوية بالنسبة للمسرحية) ؛ ومع هذا حققت الغرض نفسه . وكان المسرح مدرسة للباقة والجد والتقوى . وقد ساعد الناس العاديين على أن يتقاسموا الانتصارات والانكسارات المشتركة بكرامة ؛ وأن يفكروا بصورة سامية . وهذا بالطبع ما كان يفعله الشعراء الغنائيون مثل بندار ، إلا أن مؤلفى المسرحيات كان في إمكانهم أن يفعلوا ذلك بشكل أوقع كما كانوا يتصلون بعدد أكبر من المستمعين .

وقرأونا يلمون بأهم هذه الروائع . ولكن يحسن بنا أن نذكر الروائيين المبدعين الثلاثة وهم أخيلوس وسوفوكليس ويوريبيديس . والثلاثة يتصلون بمعركة سلاميس (٤٨٠) حيث استيقظت اليونان الحديثة على أفكار الحرية والمجد . وكان أخيلوس وهو أكبرهم في الخامسة والأربعين من عمره حينذاك واشترك فعلا في المعركة . وقد اختير سوفوكليس ؛ وكان قتي جميلا في الخامسة عشرة من

عمره . ليتقدم الجوقة الغنائية المختلفة بالنصر ، ومشى أمام الموكب عارياً يحمل القيثارة وينشد نشيد الظفر . أما دور يوربيديس فكان سلبياً ولكنه كان حسن الطالع لأنه ولد يوم الفوز في موقعة سلاميس .

ولد أخيلوس في اليوسيس وهي أكثر الأماكن قداسة في أتیکا حوالي عام ٥٢٥ . واشترك في موقعة ماراثون وسلاميس الحالتين . وتذكر الكتابة الموجودة على قبره . الدور الذي لعبه في المعركة الأولى ، بينما كتبت مأساته الأولى وموضوعها « الفرس » (٤٧٢) إحياء لذكرى المعركة الثانية . وقد بقيت لنا سبع روايات من رواياته (وعددها نحو ثمانين) وتتصف كلها بالصرامة والرزانة . والمأساة التي كتبها أخيلوس في مستوى كتابات ثيسبيس من حيث البساطة ، وتسودها الصبغة الغنائية . فهو يذكرنا بالشاعر بندار . والفكرة الأساسية في رواياته هي فكرة الشؤم المستتر في الظلام والذي يظهر بالتدرج . فالعظمة البشرية تسبب حسد الآلهة . والفخر Hybris يتبعه الضلال . والآلهة تصيب المتكبرين الفخوريين بالجنون والعمى (٢٣) . وإظهار الفخر وعقابه هو الحادث الرئيسي ولكنه مخيف حتى إنه يتخذ مظهراً دينياً . والميزة الغنائية طبيعية هنا كما لو كانت في ترنيمة دينية . والرواية تبدو كما لو كانت رؤيا تنكشف تدريجياً أمام أعيننا كطقس ديني أو كتمثيلية تتعلق بالأسرار الدينية . والرؤيا تنكشف عن طريق الجولة الغنائية وتعرضها المحاورة أحياناً . وتساعد هذه المحاورة على شرح ما يحدث . وتعمل في الوقت نفسه على وقف الإيقاع ووضع حد للترقب والقلق الذي قد يصبح غير محتمل . ومع أن أخيلوس اضطر إلى قضاء معظم حياته في أثينا فإنه ذهب ثلاث مرات إلى صقلية وكان في أحد الأوقات ضيف الطاغية هيرون . وقد توفي في جيل Gela على ساحل صقلية الجنوبي في عام ٤٥٦ .

وولد الروائي الثاني سوفوكليس قرب أثينا في عام ٤٩٥ بعد زميله بجيل كامل . وكان أكثر اجتهاداً من زميله ، ويقال إنه وضع مالا يقل عن ١٣٠ مسرحية . ومهما يكن فإنه يجب ألا ننظر إليه كعجزة منذ الطفولة : لأن مزاج

اليونان المعتدل الممزوج بالتهكم لم يكن من السهل أن يفتن كما نفتن اليوم بأعمال النبوغ السابق لأوانه . وكان هذا المزاج يدرك أن الرجاء المنتظر من الصغرة قد يكون خادعاً كالبراعم المزدوجة لبعض الأشجار التي لا تعطى ثمراً . وقد بدأ سوفوكليس يكتب وهو صغير السن ، ولكن نجاحه كان متأخراً نسبياً فقد كتب نحو إحدى وثمانين من مسرحياته بعد سن الثالثة والخمسين . ولم تبق من مسرحياته إلا سبع ترجع كلها إلى الفترة الأخيرة في حياته . وتعود أقدم الروايات الباقية « أنتيجون » Antigone إلى عام ٤٤٢ .

وكثيراً ما يقال إن سوفوكليس أصلح المسأسة . والأولى أن نقرر أنه زادها تعقيداً . وأكثر التغيرات وضوحاً إدخال ممثل ثالث ، وزيادة عدد الجوقة الغنائية من اثني عشر رجلاً إلى خمسة عشر . واستعمال المناظر المرسومة (Scenographia) في مؤخرة المسرح . وأعمق من ذلك كانت تغيرات الرواية نفسها . فلم يعد المتأملون ضحايا القدر الذي لا يرحم ، وإنما كان يقرر مصيرهم إلى حد ما اعتدالهم *sophrosyne* أو عدمه . وبذا أصبحت الرواية إنسانية وأقرب إلى شعورنا . والسيكولوجيا المسرحية أعقد مما هي عليه عند أجيلوس . ويقل دور الشعر الغنائي . بينما تدعو الحاجة إلى مجال أفسح للمحاورة .

ويبدو أن سوفوكليس قضى حياته كلها في أثينا مشاطراً مواطنيه أفراح العصر الذهبي وقلق العصر الحديدي وبؤسه ، وقد شرب كأس هذا القلق والبؤس حتى نهايتها المرة . لأنه عاش حتى ٤٠٦ ، ومع ذلك فقد كانت الذكرى التي تركها ذكرى رجل سعيد .

أما يوريبديدس فإن الفترة الزمنية التي تفصله عن سوفوكليس نصف الفترة التي تفصل هذا الأخير عن أجيلوس ، في حين أن الفواصل المعنوية بينهما أعظم بكثير . ولد يوريبديدس عام سلاميس (٤٨٠) ، فهو أصغر من سوفوكليس بخمس عشرة سنة . وقد توفيا معاً في سنة واحدة (٤٠٦) . وهناك فرق أساسي بينهما ذكره سوفوكليس « الذي قال إنه وصف الناس كما يجب أن يكونوا ، بينما وصفهم يوريبديدس كما هم (٢٤) » . وسبق لنا أن لاحظنا

أن روايات سوفوكليس كانت أكثر إنسانية من روايات أخيلوس ، وروايات يوريبيدس أكثر إنسانية منهما . وأصبحت العواطف البشرية مركز اهتمامه الرئيسي ، ونظرته إلى الناس أكثر واقعية من نظرة الذين تقدموه . وإن كانت متجهمة كنتظرتهم . وبما أن الحوادث المفجعة تزداد قوة وتعقيداً فإن الجوقة الغنائية لم تعد تابعة للمحاورة ولم يعد لها أهمية تمثيلية ، وإنما بقيت على صورة إضافة غنائية احتراماً للتقاليد . وبقيت الآلة أيضاً ، إلا أنها لم تكن في وسط المسرح كما كانت في تمثيلات أخيلوس بل حوله ، والحلق أن من نواحي الضعف في مأساة يوريبيدس أنه كان يجعل الآلة تتدخل بكثرة (مما يعبر عنه باليونانية *theos apo mechanes* وباللاتينية *deus ex machina*) لحل العقد الصعبة وإنهاء الرواية .

كان يوريبيدس أكثر سفسطة من أخيلوس وسوفوكليس . ومن الأهمية بمكان أنه كان من أول الأثينيين الذين كان لهم فخر الحصول على مكتبة خاصة . ولم يشترك في الشؤون العامة وإنما كان طالباً وأديباً وفيلسوفاً إلى حد ما ، وقد تأثر بهيراكليطوس Heracleitos وأناكساجوراس Anaxagoras كما أنه كان صديق هيرودوت وسقراط . وكانت معرفته بالأمور والناس أوسع من معرفة سوفوكليس ، إلا أنه دفع ثمن هذه المعرفة غالياً . فحياته لم تكن سعيدة ، وكان قلقاً خائب الأمل ، كما أن ولاءه لأثينا كان أقل ، وتدينه حسب العرف القديم كان أضعف . وكان اطلاعه أوسع وخياله أخصب من خيال سوفوكليس ، وكان أكثر حيوية وذكاء . وفي بعض الأحيان كان يفوقه رقة . ولكنه من جهة أخرى كان أقل حذراً واحتراماً . وقد يثير استغراب سامعيه بأفكار فلسفية غير مأروفة . وقد كتب روايات أقل مما كتبه سوفوكليس ، بل وأقل من أخيلوس ، إلا أننا نعرف مؤلفاته أكثر مما نعرف مؤلفاتهم . لأن ربعها (أى ثمانى عشرة رواية من خمس وسبعين) وصلنا ، ولدينا منها ما يفوق ما وصلنا من روايات الاثنيين الآخرين معاً . وقد غادر أثينا في أواخر حياته وذهب إلى مجنيزيا في تساليا ، ثم إلى مقدونيا حيث رحب به أرخيلالوس Archelaos^(٢٥) ملك تلك

البلاد ، وتوفى هناك سنة ٤٠٦ .

ومن المفيد جداً أن نقارن بين هؤلاء الثلاثة . فبالرغم من أوجه الخلاف الملموسة بينهم والتي ترجع في الغالب إلى تفاوت أعمارهم ، فإن فيهم صفات كثيرة مشتركة . منها العظمة والصحة والاعتدال . ويتساءل الإنسان كيف اتفق أن هؤلاء الثلاثة كانوا معاصرين وشكلوا مجموعة فريدة في تاريخ الأدب . وقد يميل إلى أن يستنتج ، كما فعل جوته^(٢٦) . أن عبقريتهم كانت إلى حد ما عبقرية عصرهم وبيئتهم . ومن العبث أن نحاول تصنيفهم ونقول إن هذا أو ذلك أعظمهم ، ولندع ذلك للمعلمين والمتحذلقين . فقد كان كل منهم عظيماً في أسلوبه الخاص وبيئته . فأخيلوس أكبرهم سناً وأكثرهم وقاراً . وقد يذكرنا بأبناء العبرانيين . وسوفوكليس ، وهو أوسطهم من الناحية الزمنية . يمثل الوسط من ناحية الصفات البشرية والروائية . أما يوريبديدس فهو عاطفي وعصرى أكثر منهما . ويهتم تبعاً لهذا بنفسية الفرد . ومن المؤكد أن سوفوكليس أحسن رمز للاعتدال الأثيني في العصر الذهبي ، ويمكننا أن نصفه بجانب بندار وفيدياس ، وهو أكثر الثلاثة ولاءً لأثينا . وقد حارب أخيلوس في ماراثون وسلاميس . وكان من حظه أن توفى في وسط العصر الذهبي . أما سوفوكليس ويوريبديدس فقد شاهدا في آن واحد عظمة ذلك العصر وما تبعه من انهيار وانحطاط سياسي . وتمكن سوفوكليس من المحافظة على هدوئه . بينما أصبح يوريبديدس أكثر كتابة إن لم يكن أكثر حكمة . وقد بقي سوفوكليس في وطنه وشغل وظائف عامة حتى في أيام الاضطراب والانكسار القادمة . أما الاثنان الآخران فهجرا أمهما أثينا ، وانتهت حياتهما في المنفى . فتوفى أخيلوس في صقلية ويوريبديدس في مقدونيا .

الملهاة :

إن قصة المسرحية الأثينية التي رويناها في ثلاث فقرات — تتعلق بأخيلوس وسوفوكليس ويوريبديدس — يجب إتمامها بفقرة رابعة تتصل بالملهاة . وليس

هذا بحديث جديد . وإنما هي تنمة للحديث السابق . والمهابة تشبه المأساة في قدمها . فصدرهما معاً دورة الأعياد والتسلية الشعبية نفسها . والطقوس المتعلقة بالإله ديونيسوس هي التي ولدتهما كليهما . وكان مصدر المهابة أعياد الحصاد وقطف العنب الريفية . وأعياد الشكر والمواكب المرححة تكريراً لآلهة الحصب التي يدين لها الناس بلذائذ الحياة . ومع أن المأساة والمهابة نشأتا في مهد واحد فإن الثانية تطورت بعد الأولى بزمن طويل (٢٧) . ذلك في الغالب لأن الأعياد المحزنة احتاجت إلى شيء من التدبير لتكون على ما يجب من الوقار والفخامة . بينما يمكن أن تتم التسلية المرححة من تلقاء نفسها في - طبعية . ومهما يكن فإن الممثل الوحيد « للمهابة القديمة » الذي وصلتنا مؤلفاته لا يظهر قبل الربع الأخير من القرن الخامس وهو أرسطوفانيس Aristophanes الأثيني (٤٤٨ - ٣٨٦) . وبظهوره نأخذ طريقنا إلى القرن الرابع . إلا أن من المناسب أن نتكلم عنه الآن . وقد كتب معظم رواياته الأربع والأربعين (وصلنا منها إحدى عشرة فقط) في القرن الخامس .

لقد كان أخيلوس وسوفوكليس ويوريبيديس متعاصرين . وكذلك كان سوفوكليس ويوريبيديس وأرسطوفانيس . غير أن الفترة التي انقضت بين الاثنين الأخيرين لا تقل عن تلك التي انقضت بين الأول والثاني (٢٨) . وقد أثر كل منهم فيمن جاء بعده . وإن كان ينبغي أن نذكر أن العكس يحصل أحياناً فيتحدى الشبان من هم أكبر منهم سناً . وهكذا أثر يوريبيديس نوعاً في سوفوكليس ، وأرسطوفانيس في يوريبيديس ؛ وإن وجدت فوارق بين الاثنين الأخيرين لا يمكن إغفالها . وادعى البعض أن يوريبيديس يعد مؤسس المهابة لتحليله الدقيق لطباع الناس تحديلاً يقرب من الهجو ، ولكن ما أعظم الفرق بين أهداف الرجلين : لقد كانا معاً من رجال الآداب ويستخدمان الأسلوب الأتيكي ، ولكن يوريبيديس بالرغم من سفسطته البالية لا يزال أحد أتباع سوفوكليس .

أما أرسطوفانيس فعلى عكس ذلك بدأ شيئاً جديداً للغاية . فهو ناقد شديد

للناس والعادات . لا يعنى أحداً . ولو كان أقوى رجال المدينة وأكثرهم احتراماً . يهاجم المتجربين بالحرب ورجال الدولة والسياسيين والسنسپاطيين والشيوخيين ، ويهاجم بوجه خاص متملقى الشعب . والشعب الغني نفسه demos الذى يسمح بأن يتلمقه ويخدعه القوضويون . وهو لا يهاجم المشتغلين بالشؤون العامة مثل كيمون وبركليس فحسب ، وإنما يهاجم أيضاً الشعراء مثل يوريبديدس والفلاسفة مثل سقراط . وإلى جانب الرجال كان ينتقد المؤسسات نفسها مثل مجلس الشيوخ والجمعية العمومية والمحاكم ومناصب القضاء . وكانت رواياته الانتقادية جريئة غالية ، مثل انتقادات الرسام الكاريكاتورى . لأنه كان يعلم أن الطريق الوحيد لإظهار انتقاداته هو تبسيطها وتكبيرها ، كما يفعل الكاريكاتورى . وأسلوبه فظ قوى لدرجة الخشونة والبذاءة ، ومع ذلك لم يكن مؤذياً (إلا لضحايا انتقاده) ، لأنه كان يعوض عن خشونته بروح الفكاهة والمجون والنكتة الحاضرة . وكانت الغريزة السياسية طبيعية فيه كما كانت لدى كل أثينى مثقف . ولكنه لم يكن متحيزاً ولا مغرضاً . وإنما كان يوجهه ذوقه السلم وحبه للدعابة . كان يرغب فى أن يضحك الناس معه وأن يحذوهم من غباوتهم هم أنفسهم ومن يحاول غشهم . وكان كغيره من النقاد البارزين ملماً بشئون عصره يحس بكل ما يحصل حوله ، كما كان ساخراً ومشككاً إلى حد ما . وقد كان أحياناً يمدح الماضى الزاهر لكى يلفت النظر إلى نواحي البؤس فى عصره ، ومن الغريب فى هذا أن يدافع عن أخيلوس ضد سوفوكليس . ولم يكن متديناً ولا خصماً للدين ، ولكن اهتمامه به كان أقل من اهتمامه بالعدل والسلم . وتجمع رواياته إلى جانب الواقعية والحقيقية *Dichtung und Wahrheit* نواحي خيالية لا تكاد تصدق . ومهما يكن من غرابة شخصياته فإن فيها قدرًا من الحقيقة يكفى لفت النظر وجذبه وإثبات ما يذهب إليه . وكان شعوره بالطبيعة الإنسانية قوياً وإن كان فجاً . وبعض أشعاره مأخوذة عن أناشيد وأقوال دارجة . أما لغته فأزفة^(٢٩) وطلية وكثيرة الحيوية ، وهى أكثر اللغات تعبيراً بالنسبة لمستعبيه ، أما القارئ الحديث فعليه أن يعرف اليونانية معرفة تامة ،

(وبصورة حية) . إذا أراد أن يقدر نواحي دقته وظرفه .

كان أريستوفانيس أول نموذج للناقد الهزلي في الأدب العالمي . فهو السلف البعيد لمثل إرازموس ومولير وفولتير وأناطول فرانس . وكان ينتقد الديمقراطية . لأنه كان محظوظاً بأن عاش في ظل أول ديموقراطية عرفت في العالم ، ولأنه كان من سوء حظه أن يشاهد فترة ملأى بالفوضى والمآسى حيث أصيبت المثل العليا الديمقراطية بمحنة يصعب تحملها . وقد رأى شرور العصر وفساده . وهاجم بجرأة الزعماء السياسيين والروحيين الذين كان عليهم أن يتحملوا المسؤوليات كما حصلوا على المفاخر والأجناد . وكانت الانتقادات التي وجهها مفيدة وسليمة ، بالرغم من عنفها ، وأحسنت البرهنة على صلاحية الديمقراطية الأثينية وأصالتها . فالديموقراطية لا يمكن أن توجد بدون توجيه النقد للذين يعيشون في ظلها ، والنقد اللاذع أوفق من انعدام النقد بتاتاً .

ويمكننا أن نفهم قيمة عمل أريستوفانيس بالنسبة لعصره إذا سألنا أنفسنا بضعة أسئلة : هل يمكن تصور وقوع مثل هذا النقد في إسبرطة أو فارس المعاصرتين ؟ أو إذا اقتربنا من عصرنا الحاضر : هل كان يمكن إخراج رواية في برلين عام ١٩٤١ مثلاً تسخر من اعتقاد هتلر في رسالته الإلهية وتظهر ذلك الزعيم الملهم يتمود شعبه نحو الهاوية ؟ (وهل كان يمكن إعلان فوز مثل تلك الرواية !) وماذا لو أخرجت رواية في واشنطن في السنة نفسها تدعو إلى السلم وتتهم رئيس الولايات المتحدة ووزراءه بالمتاجرة بالحرب ؟ وهل كان من الممكن إخراج رواية في موسكو عام ١٩٥١ تمثل من شأن ستالين ؟

إن هذه الأمور بعينها كانت ممكنة في وسط المهوم والقلق أثناء حرب البيلوبونيز . ألافنا أعظم أثينا وما أعظم أريستوفانيس ! فهو يستحق بفضل إخلاصه الشعري وجرأته تلك الكتابة المنقوشة على قبره إكراماً له (والتي قيل إن أفلاطون كتبها) ، ونصها : « حاولت إلهات الجمال إيجاد معبد يبقى على الأيام . فلم تجد أحسن من قلب أريستوفانيس (٣١) » .

القرن الخامس هو نفسه مأساة :

في هذه الكلمات الموجزة عن الثمار الفنية والأدبية للعصر الذهبي التي لم يعادها شيء في أي مكان وفي أي عصر آخر - لا بد أن يكون القارئ قد لاحظ إشارات إلى الحوادث الرهيبة التي أحلت النكبات وخيبة الأمل موضع الحماسة والأمل وكادت تهدم جلال أثينا ومجدها . ويجدر بنا أن نضيف كلمات أخرى إلى ذلك دون الدخول في التفاصيل التي ليس فيها في حد ذاتها كبير فائدة . ظلت بلاد اليونان متحدة اتحاداً بديعاً تحت زعامة أثينا . وذلك لفترة من الزمن - وتبدو هذه الفترة قصيرة ونحن ننظر إليها الآن من بعيد . غير أن الشعب اليوناني لسوء الحظ قوم متحاسدون . كان ذلك شأنهم ، وقد لازمهم . ولا يزال موطن ضعفهم الرئيسي إلى اليوم . ووجدت المدن التي هي أقدم من أثينا صعوبة في أن تصبح تابعة لها . وكان ذلك غير محتمل تقريباً لواحدة منها خاصة ، وهي إسبرطة المتكبرة . وزاد في حسدها اختلاف وجهات النظر التي لم يكن في الإمكان تسويتها بطريقة من الطرق . فأثينا ديموقراطية وطابع إسبرطة أرسطوقراطية واستبدادي . والفرق بين المدينتين في القرن الخامس عظيم . كالفرق بين لندن وبرلين عام ١٩٤٠ ، وفي كلتا الحالين لم يكن من حل سوى الحرب . وقد وقعت بكل ما فيها من ويلات . ولسنا في حاجة لوصف الحرب اليابا ونيوزية . ولا الحربين اللتين دمرتا العالم اليوناني بين ٤٣١ و ٤٢١ ، ولا ما حدث بعد هدنة قصيرة بين ٤١٤ و ٤٠٤ . وانتهى بفوز تام لإسبرطة وأضححت هذه الحروب الأهلية حروباً عالمية ، ويمكن مقارنتها . من حيث اتساعها النسبي وشدتها والنتائج التي ولدتها . بالحروب الفارسية التي خرجت منها بلاد اليونان الموحدة مملأى بالأمل في مطلع القرن الخامس . ويمكن مقارنتها أيضاً بالحربين العالميتين اللتين اسودت بهما أيامنا هذه .

وأضيفت إلى ويلات هذه الحرب آلام الطاعون ومخاوفه التي يعز علينا وصفها . ودامت خمس سنوات طويلة (٤٣٠ - ٤٢٥) . وكاد يشعر الأثينيون

أن نهاية العالم اقتربت . ومن المحقق أن علمهم' المرشح انتهى إلى غير رجعة . إلا أن حياتهم الثقافية لم تتوقف توقفاً تاماً خلال تلك السنين الرهيبة . وبقيت بوجه خاص مآسى سوفوكليس وپوريببليس وملاهى أريستوفانيس المتجهمة تمثل . وكانت الروايات الجديدة تدخل المسابقة كل عام كالعتاد . وتكمل أحسنها بالنجاح .

وكان عام ٤٠٤ عام الخضوع والذل . فاضطرت أثينا إلى الاستسلام . وهدمت أسوار پيرايوس (ميناء أثينا وركز صناعتها البحرية) والأسوار الطويلة بين أثينا والميناء . وسقطت الحكومة الديمقراطية . وانتقل سلطانها للطغاة الثلاثين . ولا داعى لوصف هذه الأعمال الفظيعة التى كادت تمحو معالم هذه المدينة النبيلة إلى الأبد . ومع ذلك عادت أثينا فازدهرت كما سرى . واتخذت مظهراً جديداً من المجد والزعامة الروحية . وضأت مدينة عظيمة . بل إحدى المدن العظمى فى العالم القديم . وانتعشت اليونان كلها . ولكنها لم تستعد وحدتها ولا سلمها . ولا النورة البريئة التى عرفها عصرها الذهبى الأول .

ومع الزمن استولت على العالم القديم روح أتيكية جديدة . وهى روح أفلاطون وأرسطو التى لا تزال حية إلى اليوم . وهذه الروح ذات صفة دولية أكثر من تلك التى ظهرت فى القرن الخامس . وكانت أكثر شعوراً بنفسها ووجودها . إلا أنها كانت أقل صفاء . والفرق العظيم بين العصر الذهبى الأول والعصر الذهبى الثانى يتضح بسرعة فى ذلك التباين بين عمل فيدياس من جهة وعمل أسكوباس وبراكسيتليس من جهة أخرى . على أنه ينبغى ألا نستبق الأمور .

وإذا عدنا إلى القرن الخامس ونظرنا إليه من دروة عصرنا الحاضر . خلال خمسة وعشرين قرناً . فإننا نتحقق من أنه كان كإحدى مآسى أخيلوس يبدأ بعظمة وفخر لا يلبث أن يغضب الآلة ويثير حسدها . ثم ينتهى بانتقامها ويطشها بالأتينين ودمارهم .

خطر مقارنة الماضي بالحاضر

ينبغي أن يحتم هذا الفصل بشيء من التنبيه . فقد تكلمنا عن مجد أثينا ، ولا يصح أن يغيب عن بالنا أن هذا هو الجانب السعيد الزاهي ، في حين أن الجانب الآخر ليس بمثل هذه البهجة .

وآثار الماضي في نفوسنا ذات جانب واحد بالضرورة ، فنحن نذكر العظمة والجمال فقط ، والأمور التي تستحق الذكر ، أو بالأحرى تلك التي لا تحتاج إلى تذكر ؛ لأنها لا تزال قائمة . ونسى الأمور السيئة البشعة والدنيئة الزائلة الفانية ، لأننا لا نرى ما يدعو لأن نثقل ذاكرتنا بها .

ولم يكن في الإمكان أن تكون المعيشة في أثينا بهيجة أثناء الحروب البيلوبونيسية ، وحتى قبل اندلاعها فإن فترات السلم كانت قصيرة وقليلة . وهذا ما يجب أن نذكره عندما نقارن الماضي بالحاضر (كما يمكننا وكما يجب أن نفعل) . وقد نمدح أحياناً حوادث الماضي في حين أننا لاننصف معاصرنا ، لأن فظائع عصرنا ونواحي التقصير فيه جليلة واضحة بالنسبة لنا وهي تؤذينا بينما فظائع الماضي تنسى أو تفقد مراتها .

وهل علينا أن نحاول استعادة ذكرى الجانب الكئيب المخزن من القرن الخامس ؟ إننا حتماً لا نفعل ذلك بالتفصيل ، وما فائدة هذا العمل ؟ ولماذا نسمح لأنفسنا أن نلهي بشرور انقضى عهدها منذ أمد طويل ؟ إذ شرور اليوم تكفيننا . ومن المفيد أن نعلم أن الناس رجالاً ونساءً أصابهم جميع أنواع البؤس في كل مكان وزمان مع فترات قصيرة فقط من السلم والسعادة . وإدراك المرء أن قسطاً من الشر والألم كان دائماً موجوداً حتى في أجمد عصور الماضي من شأنه أن يساعده على تحمل شرور اليوم في رباطة جأش أكثر .

ويدعونا الواجب إلى أن ندرك شرور عصرنا قدر الإمكان ، لكي نتمكن من معالجتها أو إزالتها ، ولا حاجة إلى مشاهدة شرور الماضي أيضاً لأن شفاءها لم يعد ممكناً والزمن أزالتها فعلاً . ومع ذلك يجب أن نحفظ لها ذكرى بصورة تاريخ العلم

عامّة ، وبهذه الذكرى ينبغي إنصافاً أن نخف مديحنا للماضى .

وليتضح لدينا دائماً أن ما يروقتنا من الماضى (ولم يكن فى وسعنا أن يروقتنا أكثر من اللازم) ، ليس هو الماضى كله بأى وجه من الوجوه ، وإنما جزء صغير منه ، بل وأحسن أجزائه . ولا يصح أن ننظر إليه على أنه مثل أعلى ، كما فعل أرنست رينان فى « صلاته على الأوروبول » ، وإنما ننظر إليه ككل نعجب فيه فقط بالأمور التى كانت جيدة جداً بحيث لا تفنى . ونحن لا نحب الماضى ، اللهم إلا قسماً منه لم يكن ماضياً ، وسوف لا يكون أبداً .

وواضح أن الأثينيين لم يكونوا جميعاً فى مستوى البارثينون الروحى ، وأحسنهم فقط هم الذين استطاعوا أن يتدوقوا سوفوكليس وفيدياس . ولم تكن هذه الأقلية إلا بمثابة الحميرة ، وبفضل تشجيعها وعبقريتها تمكن رجال عظام مثل فيدياس وسوفوكليس أن ينتجوا روائعهم الممتازة . وقد بقى هؤلاء العظاماء . بينما ذهب الآخرون ، وهم وحدهم يرمزون إلى قيم العصر الذهبى الخالدة .

تعليقات

- (١) يمكن القول بوجه التقريب أن الشعب اليوناني الذي تبحث عنه في هذا المجلد هو مزيج من سكان البحر المتوسط (من كريتيين وأحيين وغيرهم) وغزاة مختلفين وخاصة الدوربيين الذين هبطوا من الشمال. وهذه مسألة كثيرة التعميد وقد يكون حلها متعذراً. وهناك موجز عنها في كتاب A.J.B. Wace وعنوانه Companion to Greek Studies (كبرديج الطبعة الثالثة ١٩١٦) ص ٢٣ - ٣٤ .
- (٢) لن نتكمن من الكتابة عن الحضارة الأخمينية في هذا الكتاب ؛ وذلك لعدم وجود متسع لها ولضرورة وحدة الموضوع . ونكتفي بتذكير القارئ أن أول ملوك السلالة الأخمينية كان قورش (حكم ٥٥٩ - ٤٢٩ ق. م.) وأن آخرهم كان دارايوس الثالث الذي كره الاسكندر الأكبر في ٣٣١ ق. م. وقد دام حكم السلالة ٢٢٨ سنة . ويجدر التكلّم عما حققته الحضارة الأخمينية في تاريخ الفن أو حتى في تاريخ التربية عند الأقدمين (بالرغم من أن التربية الفارسية - كما أوضحها كزينوفون في كتاب تربية قورش Cytupaideia - كانت وهمية وخيالية إلى حد بعيد) ، أما مؤرخ العلوم فيمكنه أن يهمل ذكرها بدون حرج وخاصة بالنسبة لطبيعة هذا الكتاب وموضوعاته . راجع الكتاب الذي وضعه المرحوم البرت أولستد A. Olmstead (١٨٨٠ - ١٩٤٥) وهو تاريخ الامبراطورية الفارسية History of the Persian Empire (٥٩٦ صفحة مع الرسوم مطبعة جامعة شيكاغو ١٩٤٨) .
- (٣) كانت مصر تحت حكم الفرس بين ٥٢٥ و ٣٣٢ ق. م .
- (٤) انظر مقال جورج سارتون : « وحدة عالم البحر المتوسط وتنوعه The unity and diversity of the Mediterranean world » في مجلة Osiris عدد ٢ ، ص ٤٠٦ - ٤٦٣ ، عام ١٩٣٦ وخاصة ص ٤٢٢ - ٤٢٣ .
- (٥) ذهب أحد جنود اليونان ركضاً إلى أثينا ليذيع الأنباء السارة . وإلحياها ذكرى أعمال البطولة هذه (ومنها عمل هذا اليوناني) وقام سباق ماراثون الطويل المدى في عدة بلاد ، كما يحدث في بوسطن مثلاً كل سنة ، ومسافته ٢٦ ميلاً و ٣٨٥ ياردة ، على أساس أنها المسافة بين ماراثون وأثينا . ولا أدري على أي أساس حسبت .
- (٦) انظر المقدمة Introduction ج ٣ ، ص ١١٨٨ .
- (٧) هنالك ملاحظات غريبة من اللهجة الأثينية في كتاب « دستور أثينا » ، الجزء الثاني والثامن ، وهو كتاب جزيل الفائدة ينسب إلى كزينوفون ، ولكنه أقدم بقليل (نحو ٤١٣ - ٤٢٤) . وقد قال مؤلف الكتاب المجهول « بما أن الفرصة كانت متاحة لهم للاصغاء إلى لهجات متعددة فإنهم استعاروا من كل منها . وبينما استعمل كل واحد من الشعوب اليونانية الأخرى

لنته الخاصة واتباع أسلوبه في المعيشة والزي فإن الأثينيين استعملوا لغة مزيجية استمدوا عناصرها من اليونان الآخرين وغيرهم» ، انظر الطبعة اليونانية - الإنجليزية ، لهذا النص مع شروح هارتفج فريش « دستور أثينا » (طبع كوبنهاجن ١٩٤٢) .

(٨) أطلق اسم ميثريديتيس على عدد من الولاة أو الملوك في بونتوس Pontos (في شمال شرق آسيا الصغرى جنوبي الطرف الشرق للبحر الأسود) وقد اشتق هذا الاسم من اسم إله الشمس عند الإيرانيين ، وهو ميثرا Mithras . والملك الذي نتكلم عنه هو ميثريديتيس السابع أو يوباتور Eupator أو العظيم ، وقد دام حكمه من حوالي ١٢٠ إلى ٦٣ ، وكان هانيبال أشد أعداء الرومان خطراً واتصف بالقسوة والوحشية وإن كان مولعاً بالأدب والفنون .

(٩) اكتشفت البعثة الأثرية الفرنسية سرتين من رخام في دلي . (انظر مقال "Omphalos" لكاتبه و . ج . وودهوم Woodhouse في دائرة معارف الدين والأخلاق Encyclopedia of Religion and Ethics ج ٩ (١٩١٧) ص ٤٩٣) . وإن فكرة وجود سرة الأرض أو وسطها في مدينة معينة أو بلد معين هي نوع من الإقليمية والاعتداد بالذات ، وليست بأي شكل من الأشكال مقتصرة على اليونان . فقد كان يعتقد سكان بوسطن مثلاً أن مدينتهم هي « مركز العالم » والفكرتان متشابهتان وإن كانت الاستعارة مختلفة ، وإني أفضل فكره « السرة » ، وهي عضوية ، على فكرة المركز hub ، وهي ميكانيكية .

(١٠) كانت البيثيا Pythia (والمقدسة hiera) كاهنة أبولون البيثي ، وكانت هؤلاء الكاهنات في الأغلب نساء يتمتعن بقوى فائقة في الوساطة .

(١١) قد تبدو هذه الأمور كلها مخالفة للعقل . على أننا يجب أن نتذكر أن حوادث التاريخ القديم (ومنها الحوادث السياسية والعسكرية مثلاً) كان يسيطر عليها لحد كبير الإيمان بالآفاق والتكهنات . وتراجع بلوتارك Plutarch ملاذى بالإشارات إلى التكهن وعلم الغيب ، وقد زادت هذه الإشارات في شهرة مؤلفه في العصور السابقة (حتى القرن الثامن عشر) ، وهي الآن من الأسباب الرئيسية لزوال هذه الثبرة على الأغلب . ومهما يكن من غياوة التكهن فإن الناس كانوا يتأثرون به ما داموا يعتقدون صدقه . فالاعتقاد خاطيء والتأثير واقعي . انظر بشأن دلي وسلطة كاهناتها (Pythiae) التوجيهية كتاب بوشيه لوكليز . تاريخ الكهانة في العالم القديم Bouché-Leclerc, Histoire de la divination dans l'antiquité (في أربعة مجلدات . باريس ١٨٧٩-١٨٨٢) وخاصة المجلد ٢ ، ص ٣٩-٢٠٧ ؛ وكتاب هوبرت ولهم بارك Parke : تاريخ تكهنات دلي History of the Delphic oracle (عدد صفحاته ٤٦٥ مع الرسوم طبع مكتبة بلاكول Blackwell في أكسفورد ١٩٣٩) ، ومجلة ايزس Isis ص ٣٥ ، ٣٥٠ عام ١٩٤٤ . وتنبؤات دلي كانت عموماً غامضة وسلبية (سوف لا تفعل كذا . . .) ومقيدة ومحافضة . وقد يود رجال السياسة اليوم لو كان في وسعهم أن يبرروا أعمالهم أو عدم إتيانهم لعمل بالاستناد إلى أمر إلهي ! فإن ذلك كان يعطيهم أعذاراً لا يمكن التغلب عليها .

(١٢) تشبه بذلك بعض الظواهر الباقية في لغتنا : فكلمة *panegyric* التي تعنى أى خطاب أو كلام فيه مديح مشتقة من *Panegyris* ومعناها جمعية وطنية عموماً من نوع الأعياد الدينية كالتى كان يجتمع الناس فيها في دلفي وديلوس . وخطب العيد كانت تسمى *panegyricoi* . وبما أن هذه الخطب كان يزداد فيها المديح الرعاء أكثر فأكثر فإن خطبة تمتدح الأشخاص أصبحت تدعى *Panegyricus* ، ومنها خطبة الكاتب بليسي الأصغر الذى عاش ٦١ - ١١٤ وفيها إغراق في مدح الإمبراطور تراجان (حكم ٨٩ - ١١٧) .

(١٣) كان هيرون طاغية سيراكيوز في صقلية من عام ٤٧٨ حتى وفاته في ٤٦٧ . وكان من المستيرين الذين يعطفون على الأدب ، وقد رحب في بلاطه بالشعراء ، أخیلوس *Aischylos* وسيمونيدس وبندار وأخيليدس وغيرهم .

(١٤) نقل هذا الشعر إلى الإنجليزية جون سترلنج *Sterling* ، راجع لأجل النص اليوناني ف . ج . شنايدون *Brunswick, 1835 Crmenum reliquie (Schneidewin, Simonidis Cwei* (طبع برزويك ١٨٣٥) ص ١٠ .

(١٥) انظر كتاب فرديريك . كينيون *Kenyon* « أشعار باخيليدس من ملف بردى في المتحف البريطاني » *The poems of Bacchylides froma papyrus in the British Museum* (١٨٩٧) . نشر المتحف البريطاني في تلك السنة صورة تامة من ذلك الملف ، وظهرت منذ ذلك الحين طبعات وترجمات مختلفة لباخيليدس في بلاد عديدة ؛ وعلى هذا فقام ١٨٩٧ هو تاريخ بحث باخيليدس .

(١٦) ويشمل نشاطه تقريباً النصف الأول من القرن الخامس تماماً وأقدم شعر باق له يرجع إلى عام ٥٠٢ وآخر أشعاره من عام ٤٥٢ .

(١٧) راجع كتاب كويتليان *Institutio Oratoria* (الجزء العاشر ، الفصل الأول ، الفقرة ٦١) في مكتبة *Loeb* للمؤلفين الكلاسيكيين المجلد الرابع ص ٣٥ . أما « الشعراء الغنائيون التسعة » فإنهم بحسب الترتيب التاريخي : آرخیلوخوس من باروس *Archilochos of Paros* (٧٢٠ - ٦٧٦) وآلكمان الإسبرطي الذى ولد في سارديس (القرن السابع) والشاعرة سافو *Sappho* من لسبوس (ازدهرت عام ٦٠٠) ، وإيبيكوس من ريجموم *Ibycos of Rhegium* (ازدهر في ساموس ٥٤٠) ، وأنكريون من تيبوس *Anacreon of Teos* (٥٦٣ - ٤٧٨) ، وبندار ، وباخيليدس ، وفيليتاس من كوس *Philetas of Cos* (توفى نحو ٢٨٠) وكاليماخوس من برقة *Callimachos of Cyrene* (ازدهر ، ٢٦٠ - ٢٤٠) . ويجب ملاحظة توزع هؤلاء الشعراء في الزمان بين القرنين الثامن والثالث ، وفي المكان فكان واحد منهم فقط - بندار - وهو أعظمهم من صميم اليونان ، بينما كان أربعة آخرون من جزر بحر إيجه وهم آرخیلوخوس وسافو وباخيليدس وفيليتاس ، واثنان من آسية وهما الكان وأنكريون ، والثامن من بلاد اليونان العظمى وهو إيبيكوس ، والأخير من برقة وهو كاليماخوس .

(١٨) أغنية دلفي ، الجزء الثامن . ترجمها إلى الإنكليزية السير جون ساندس *Sandys*

(١٨٤٤ - ١٩٢٢) في طبعة لوب Loeb لأغاني بندار (١٩١٩) ص ٢٦٩ .

(١٩) إن هذا الأمر أقل غرابة مما يبدو لأول وهلة . فالشعر مختلف في جوهره عن اللغة اليومية ولذلك فإنه ليس من المستغرب أن ينتهي الأمر بالشعراء إلى استعمال مفردات وقواعد تختص بهم ، فإن ذلك باستعمال اللهجة الغاليسية المعروف بالحقيم Galician التي هي أقرب إلى البرتغالية منها إلى الكاستية لعة ملك كاستيليا الفونسو العاشر المعروف بالحقيم (راجع المقدمة Introduction ج ٣ ص ٣٤٣ - ٣٤٤) .
(٢٠) تصور رينان هذه القطعة عندما زار أثينا في ١٨٦٥ ، ثم كتبها فيما بعد ولم ينشرها إلا في مايو ١٨٧٦ (في مجلة (Revue des Deux Mondes)) وبعد ذلك أدخلها في كتابه Souvenirs d'enfance et de jeunesse (١٨٨٣) . وكلمة بارثينون - Parthenon معناها غرفة العذراء ، وهو معبد أثينا بارثينوس Parthenos الإلهة العذراء للحكمة .

(٢١) تفيد كلمة lesche مكاناً يجتمع فيه الناس (lego) لأجل التحدث ، وكانت عموماً أشبه بالرواق (stoa)

(٢٢) إننا لا نعلم الشيء الكثير عن تيسبيس ولكن اسمه محفوظ في اللغة الإنكليزية في عبارة Thespian art « الفن التسيبي » أو Thespian « تسيبي » للدلالة بصورة حازلة عن الممثل . ويقال إنه أوجد ممثلاً (يعرف باسم hypocrites ومن هذه الكلمة أتت لفظة hypocrite أى مراه بمعنى الإنسان الذى يلعب دوراً) ليجيب الحقوة الغنائية . فاختراع المأساة إذن يقوم على إضافة العمل الفردى إلى الحقوة الغنائية .

(٢٣) تلك كانت فكرة عادية في الشعر اليوناني وترجع بأصلها إلى هوميروس ، وقد أبانها أصحاب المأساة الأولون كلهم كما في مأساة أنتيجون Antigone التي كتبها سوفوكليس (الجزء الأول مقطع ٦٢٠) . ومعظم الناس يذكرونها في شكلها اللاتيني (في ترجمة متأخرة لبيت منسوب لاوربيديس):

Quem (orquos) vult perdere Iupiter dementat prius

(٢٤) أرسطو : كتاب الشعر Poetica الفصل ٢٥ .

(٢٥) كان أرخيلادوس ملك مقدونيا من ٤١٣ حتى ٣٣٩ يعطف على الفنون والآداب وقد زخرف قصره زويكسيس Zeuxis وهو من مشاهير الرسامين في بلاد اليونان قديماً . وتاريخ مقدونيا تاريخ معقد جداً ، والاسكندر الأكبر ملكها الثاني عشر (ومن هؤلاء الملوك أربعة مفتصون) بعد أرخيلادوس .

(٢٦) في حديثه مع أكرمان Eckermann في ٣ مايو ١٨٢٧ .

(٢٧) هذا إذا استثنينا الرواية الهزلية التي ليست قصة مضحكة وإنما هي مأساة هزلية paizusa tragodia . وكان الشعراء المتنافسون في أعياد ديونيسيوس يضطرون لتقديم أربع روايات (tetralogia) منها ثلاث مأس (trilogia) ورواية هزلية satyricon ورواية الـ Cyclops ليوريبيديس المبنية على ما جاء في الأوديسية ، (الكتاب التاسع) رواية هزلية ، وهي الوحيدة التي وصلتنا من هذا الروائي .

- (٢٨) والفروق بين تواريخ ولادتهم هي ٣٠ و ١٥ و ٣٢ سنة .
- (٢٩) وأحياناً كانت مألوفة أكثر من اللزوم بالنسبة لذوقنا . فقد كان ينغمس في توريات سخيفة لا تضحكنا اليوم كما كانت تضحك معاصريه ، حتى ولو جعلتها التفاسير في الهوامش واضحة .
- (٣٠) كانت إلهات الجمال (المعروفة في اليونانية باسم Charite وباللاتينية بـ Gratiae وبالانجليزية باسم The Graces) بنات زيوس الثلاث وهن المرح Euphrosyne والبهام Aglaia والازدهار Thalia ومهمتهن زيادة مرات الحياة الدنيا . وليتهن بقين معنا لأن حاجتنا إلى عونهن ماسة .
- (٣١) إن مقارنة القرن الخامس بمأساة مقارنة ملائمة ، خصوصاً وإسبرطة ما كانت لتكسب الحرب لولا مساعدة فارس المالية . وبسبب خيانة إسبرطة هنا تمكنت فارس ، التي أصيبت بانكسار تام سنة ٤٧٩ ، أن تملئ شروط الصلح سنة ٤٠٤ . وهل يمكن تصور انقلاب مفرج أكثر من هذا ؟ وإذا درسنا الحوادث السياسية السابقة بشيء من التفصيل ، وجدنا مآسى صغيرة كثيرة ساعدت على إيجاد مأساة الانكسار الأثيني الرئيسية ، وكان من أمر اثنين من منقذى اليونان - وهما ثيمستوكليس الأثيني وبوزانياس الإسرطى - أنهما أصبحا في نهاية حياتيهما خاتنين متبوزين .